المحاضرة التّاسعة: أنواع المعاجم العربيّة التّراثيّة العامّة

عرفنا فيما سبق (المدخل الاصطلاحي) أنّ المعاجم منها ما هو عام؛ يهتمّ بمفردات اللّغة أياً كانت، ومنها ما هو خاص؛ موجّه إلى فئة معيّنة، يُقتصر فيها على المفردات الّتي تلبّي حاجاتهم، وفق مجال تخصّصهم.

وسنتناول في هذه المحاضرة المعاجم اللّغويّة العربيّة التّراثيّة العامّة.

1. تصنيف المعاجم العربيّة التّراثيّة العامّة:

تنوّعت المؤلّفات اللّغويّة العربيّة كثيراً، بدءاً من القرن الثّاني للهجرة، إذ نجد منها الرّسائل الّتي تعالج نواحي خاصّة أو موضوعات بعينها من اللّغة العربيّة، ومنها المعجمات الجامعة، والّتي تنوّعت بدورها إلى أصناف، فالمفردة اللّغويّة لها جانبان «جانب اللّفظ، وجانب المعنى. ويتحدّد نوع المعجم هنا حسب نقطة الانطلاق من المعلوم للوصول إلى المجهول، فإذا كان الباحث يعرف اللّفظ ويريد الحصول على شيء مجهول له يتعلّق بالمعنى أو النّطق، أو التّأصيل الاشتقاقي، أو درجة اللّفظ في الاستعمال ... فإنّ مدخله إلى المعجم يكون من خلال اللّفظ فيرجع إلى واحد من معاجم الألفاظ (...) وإذا كان الباحث يعرف المعنى العام، أو الموضوع، ويريد أن يحصل على الألفاظ أو العبارات أو المصطلحات الّتي تقع تحته يرجع إلى واحد من معاجم المعاني»[1]، ويمكن تمثيل هذه الأنواع كالتّالي:

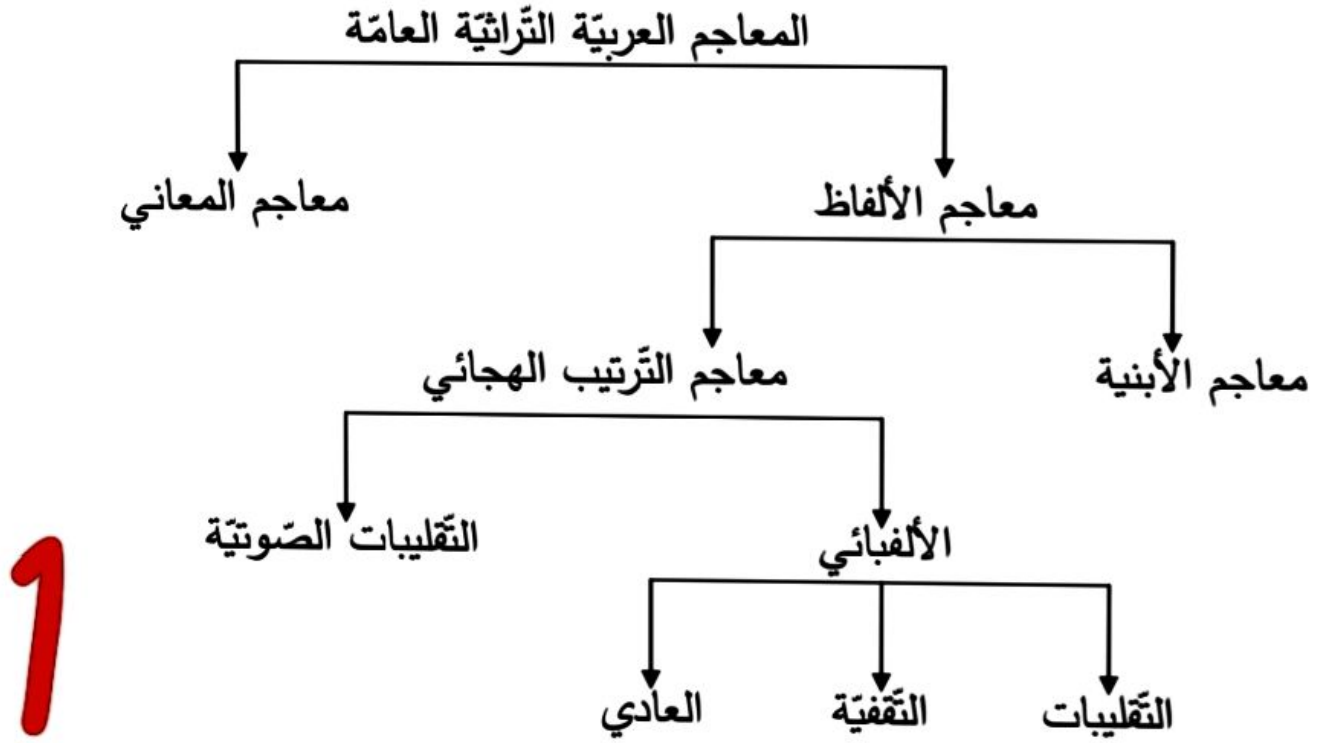

1

2. معاجم الألفاظ الهجائيّة:

وتعرف أيضاً بعاجم المفردات، أو المعاجم المجنّسة؛ وهي تلك المعجمات الّتي «تعالج اللّفظة وتضبطها وتبيّن أصلها ومشتقّاتها، وتشرح مدلولها، وتتخذ لها نهجاً خاصاً في ترتيب الألفاظ »[1]، فهي تمثّل مرجعاً للبحث عن معاني كلمات معيّنة مفردة، وتفيد الباحث الّذي يكون على علم باللّفظ، ويريد الحصول على طريقة النّطق أو المعنى أو الاشتقاق، أو درجة شيوعه في الاستعمال، وقد اختلفت هذه المعاجم في طريقة ترتيبها لمادّتها، بدءاً من التّرتيب الصّوتي الّذي جاء به الخليل في العين، وانتهاءً بالتّرتيب الألف بائي المعتمد في المعاجم والقواميس الحديثة والمعاصرة. وقد تمّ تبيان ذلك في المحاضرتين الخامسة والسّادسة.

نموذج من معجم العين للخليل بن أحمد

باب الهاء والرّاء والفاء معهما

هـ ر ف ، ر هـ ف ، ف هـ ر ، ر ف هـ ، ف ر هـ مستعملات

هـ ف ر مهمل

هرف :

الهَرَف : شِبْهُ الهَذَيان من الإعجاب بالشيء . فلان يَهْرِفُ بفلان نهارَهُ كُلَّه ، هَرْفاً .

وبَعْض السِّباع يَهْرِف لكَثْرة صَوْته .

وفي مَثَلٍ : « لا تَهْرِفْ حتى تَعْرِفَ »(١) .

رهف :

الرَّهَفُ : مصدر الرَّهيف ، وهو اللّطيف الـدَّقيق . رَهُف الشـيءُ [يَرْهُفُ] ، رَهافةً ، وقلمًا يُستَعمل إلاّ مُرْهفا ، وقلّما يُقال : رهيف .

وأرهفتُ السَّيْفَ إذا رَقَّقْتَهُ . ورجلٌ مُرْهَفُ الجسم : رقيقه .

3. معاجم الأبنية:

يتمّ فيها حصر الألفاظ موزّعة ومرتّبة وفق نظام الأبنية، وهو ما من شأنه أن يُفيد الصّرفيّين كثيراً، و«يطلعنا على خصائص الأوزان وما يفيده كلّ بناء من الأبنيّة، كوزن "فعّال" الّذي يفيد الزّيادة والكثرة، فشيء عُجّاب أي عجيب جداً، والظرّاف أظرف من ظريف، والجمّال أجمل من جميل ...»[2]. ومن ذلك نمثّل بديوان الأدب للفارابي (إسحاق بن إبراهيم الفارابي ـ 350هـ)، حيث اعتمد في كتابه منهج التّرتيب، الآتي[3]:

ـ قسّم كتابه إلى ستّة أقسام (كتاب)؛ كتاب السّالم، كتب المضاعف، كتاب المثال، كتاب ذوات الثّلاثة، كتاب ذوات الأربعة، كتاب المهموز.

ـ جعل كلّ كتاب قسمين؛ قسم للأسماء وآخر للأفعال.

ـ قسّم كل منهما (الأسماء والأفعال) إلى أبواب، بحسب التّجريد والزّيادة.

ـ يبتدئ فيها بالمفتوح الأوّل، ثمّ المضموم فالمكسور، ويقدّم السّاكن الحشو على المتحرّك الحشو، ويقدّم ياء التّأنيث على همزتها ... .

ـ يقسّم كل بناء إلى أنواع بالنّظر إلى صفاته، ويعتمد في التّرتيب البناء الّذي عليه وزن الكلمة ... .

ـ يرتّب الأوزان بحسب حرفها الأخير مع أوّلها ووسطها.

وأشهر ما أُلّف في مثل هذه المعاجم (الأبنيّة)، نذكر: ديوان الأدب للفارابي (350هـ)، ومقدّمة الأدب للزّمخشري (538هـ)، وشمس العلوم لنشوان بن سعيد الحميري (573هـ). والنّموذج التّالي مأخوذ من ديوان الأدب للفارابي:

هذا كتاب الأسماء من الصحيح

وهى ثلاثةُ أجْناس : ثُلاثِيّ ، ورُباعِيّ ، وخُماسِيّ . فلم يُقْصَرْ[1] باسمٍ عن الثُّلاثِيّ ؛ لأنّه لا بد من حَرْف يُبْتَدأ به ، وحرف يُوقَفُ عليه ، وحرف يُفَرَّق به بين الابْتِداء والوَقْف . والحرفُ المتوسِّطُ يُقال لَه : الحَشْو[2] . ولم يَبْلُغ السُّداسِي باسمٍ ؛ لأنه حَدُّ اسمَيْنِ . والفعلُ مَحْطوطٌ عن الأسماء درجةً ، ونهايَتُه فى التأسيس الرُّباعِيّ ، إلا ما زِيدَ فيهِ من حروف الزيادات على الأصل ، أو تكرّر حرفٌ فيه ، وذلك لِما ما زَجَ الفعل من الثِّقَلِ الذى هو مَخْصوصٌ به .

وأبْنِيةُ الأسماء — على كثرتها — أولاها بالا بْتِداء ما كانَ بفَتْح الفاء وتَسْكِينِ العَيْن منها ؛ لأنّه أخَفُّها .

وهذا البناءُ يقع لواحدِ فُعول من الأسماء ، وله الباب ، وواحدِ[3] فِعالٍ من النُّعوت ، وإنّما البابُ لفَعِيلٍ ، ولجمع فَعْلة من النّباتِ والشّجَرِ وما انشَعَبَ منهما ، ولمصدَرِ ما كانَ مفتوحَ العينِ من الأفعال فى الماضى . فهذا جُمْهُور هذا البناء وأصْلُه ، وفُروعُه كثيرةٌ .

فَعْـل

١ — باب فَعْل بفتح الفاء وتسكين العين

(ب) فالتَّرْب : شحم قد خَشِّى الكَرِش والأمْعاء رَقِيقٌ.

والثَّقْبُ : واحدُ الثُّقوب[4] .

والجَدْب : نَقِيضُ الخِصب .

3

4. معاجم المعاني:

ويُطْلق عليها أيضاً "معاجم الموضوعات"، وهي تلك المعاجم الّتي « ترتّب الألفاظ اللّغويّة حسب معانيها أو موضوعاتها»[1]، فهي تهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعة لمختلف المعاني، و«تفيد من يدور في ذهنه معنى من المعاني أو يفكّر في موضوع ما، ويريد أن يجمع الألفاظ المتعلّقة بذلك الموضوع، أو ذات المعنى»[2].

ولذلك نجد أنّ هذه المعاجم لا ترتّب مادّتها هجائياً، على شاكلة معاجم الألفاظ، بل اعتنى واضعوها «بتقسيم كتبهم إلى فصول وفقاً للموضوعات، ولكنّهم لم يرتّبوا موادّهم في داخل هذه الفصول أو الأبواب. واختلفوا في معالجة موادّهم؛ فمنهم من اختصر مثل ابن السكّيت وابن قتيبة وثعلب والبغدادي، ومنهم من أطال مثل الجواليقي والزعبلاوي. واختلفوا في الشّواهد، فكان أكثرهم عناية بها المطيلون، وظهر عندهم الحديث بينها، على حين قلّت واختفى منها الحديث عند المختصرين، سوى البغدادي الّذي قبله في كتابه. واتّفقت هذه الكتب جميعاً في أنّها لم تكن خالصة للعامّة، بل كانت تنظر إلى الخاصّة أيضاً كما يتّضح من مقدّماتها»[3]، بحيث تفيد الأدباء والشّعراء وأصحاب التّخصّصات المختلفة.

وأكبر معجم يندرج تحت هذا النوع، وهو "المخصص" لابن سيده (ت458هـ)، ويضم بداخله سبعة عشر سفراً، استوعبت هذه الأسفار ما كان في تلك الرسائل الصغيرة التي سبقته، ومن أبرز الكتب التي ألفت في ذلك وقد سبقت ابن سيده كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلّام (224هـ)، الألفاظ لابن السكّيت (244هـ)، والألفاظ الكتابيّة للهمذاني (327هـ)، ومبادئ اللّغة للإسكافي ت421هـ، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (337هـ)، وفقه اللّغة للثّعالبي (429هـ).

قسّم ابن سيّده (أبو الحسن علي بن إسماعيل) معجمه المخصّص، إلى 17 كتاباً، كلّ كتاب مقسّم إلى أبواب، والّتي تقسم بدورها إلى تفريعات مختلفة، وذلك حسب الموضوعات، كالتّالي[1]:

ـ كتاب خلق الإنسان ـ كتاب الغرائز ـ كتاب النّساء ـ كتاب اللّباس ـ كتاب الطّعام ـ كتاب السّلام ـ كتاب الخيل ـ كتاب الإبل ـ كتاب الغنم ـ كتاب الوحوش ـ كتاب السّباع ـ كتاب الحشرات ـ كتاب الطّير ـ كتاب الأنواء ـ كتاب النّخل ـ كتاب المكنّيات والمبنيات والمثنّيات ـ كتب أخرى.

والنّموذج التّالي من فقه اللّغة للثّعالبي:

٤ – فصل

فى الأمكنة

عن الليث ، وأبى عمرو ، والمؤرِّج (١) ، وأبى عبيدة ، وغيرهم :

كل بقعة ليس فيها بناء فهى : عَرْصَة (٢) . كل جبل عظيم فهو : أَخْشَبُ (٣) . كل موضع حصين لا يوصل إلى مافيه فهو : حِصْن . كل شىء يُحتفَر فى الأرض إذا لم يكن من عمل الإِنسان فهو : جُحر (٤) . كل بلد واسع تنخرق فيه الريح فهو : خَرْق (٥) . كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذًا للسيل فهو : وادٍ (٦) . كل مدينة جامعة فهى : فُسطاط (٧) ، ومنه قيل لمدينة مِصْر (٨) التى بناها عمرو بن العاص (٩) ، ومنه الحديث : « عَلَيْكُم بالجَمَاعة فإن يَدَ الله على الفُسطاط » (١٠) بكسر الفاء وضمها . كل مَقام قام (١١) به الإِنسان لأمر ما فهو :

وكما هو ملاحظ في هذا النّموذج، يُبتدأ بالمعنى، مثل: "كلّ بقعة ليس فيها بناء"، وصولاً للمعنى: "عرصة"، أي من المدلول للدّال، وذلك بعكس معاجم الألفاظ (المفردات). ولذلك عُنون الفصل بالمعنى العام "الأمكنة"، ليتدرّج تحتها في إيراد تفصيل مختلف المعاني، والألفاظ الدّالّة على كلّ واحد من هذه المعاني.